

الأساليب البلاغية في وصية الإمام علي إلى ابنه الحسن (عليهما السلام)

المدرس

عبد الواحد خلف وساك

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن أصحابه الغرّ الميامين .

الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) غنيّ عن التعريف إلّا أنّ الذوق الأدبي والفكر الجياش والخيال الواسع تقتضي التعمق في أدبه البليغ ؛ لأنّ له نهجا من الفصاحة ، والبلاغة يقتدي به من له حظ في ذلك النهج فهو الخطيب المبين والحكيم الجليّ ، وسيد البلغاء ، والفصحاء بعد الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) وما هذا البحث إلّا محاولة مبتسرة للغوص في بحر كلامه الزاخر العباب لعليّ ألنقط منه الدرر الثمينة واللآلئ النفيسة متخذًا البلاغة سبيلا مفضيا إلى ذلك فأخترت من كتاب نهج البلاغة وصيته إلى ابنه الحسن (عليهما السلام) فطفت أقرأ هذه الوصية مرارا وتكرارا ، ثم وزعت ما عناني منها على الأساليب البلاغية المعروفة ، فكان قوام بحثي مدخلا وثلاثة مباحث وخاتمة .

أما المدخل فقد ذكرت فيه معنى البلاغة عند العلماء .

وأما المبحث الأول فقد ذكرت أساليب علم المعاني من خير بأنواعه الثلاثة ، وإنشاء بقسميه غير الطلبي وشمل المدح والذم والتعجب والرجاء ، والطلبي ومنه الأمر وشمل صيغة (افعل) ، و (ليفعل) ، والأمر بصيغة الخير ، ثمّ النهي والاستفهام والنداء .

وأما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه بعض أساليب علم البيان ومنها التشبيه ، ومن أنواعه : المرسل ، والبليغ ، والتمثيل ، ثمّ الاستعارة ومنها التصريحية والمكنية ثمّ الكناية ومنها كناية عن موصوف ، وكناية عن صفة .

وأما المبحث الثالث فقد ذكرت فيه بعض أساليب علم البديع بقسميه : المحسنات المعنوية ومنها الطباق والمقابلة والالتفات ، والمحسنات اللفظية ومنها الجناس والسجع بأنواعه والموازنة وردّ العجز على الصدر والاقْتباس .

أما الخاتمة فقد ذكرت فيها أبرز نتائج البحث .

وختمت بحثي بقائمة من المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها .

أسأل الله أني وفقت في عملي هذا وما التوفيق إلا من عند الله .

ISSN-1994-697X

مدخل

ذكر لنا الجاحظ تعريفات كثيرة للبلاغة عند العرب وغيرهم فقد قيل للفارسي : ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل ، وقيل لليوناني : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغزارة يوم الإطالة ، وقيل للهندي : ما البلاغة ؟ قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة ، وقال بعض أهل الهند : جماع البلاغة البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة (١) .

واختار الجاحظ قولاً أعجبه ((قال بعضهم : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك)) (٢) .

وعرّف السكاكي البلاغة هي ((بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدًا له اختصاص بتوفية التراكيب حقها و إيراد التشبيه والكناية على وجهها)) (٣) .

أما الخطيب القزويني فقال : ((أما بلاغة المتكلم فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاخته)) (٤) .

فالبلاغة إذاً علاقة اللفظ بالمعنى وإيصاله إلى مفهوم السامع والمطابقة وحدها لا تكفي لكي يكون الكلام بليغاً إذ لا بد أن يكون فصيحاً أي أن تكون الألفاظ سهلة واضحة عذبة ، وإذا نظرنا إلى وجوه الفصاحة وفنون البلاغة ومطابقتها لمقتضى الحال مع سعة وشمول علمنا عند ذلك أن نهج البلاغة بليغ بما فيه من خطب ووصايا ورسائل وحكم بليغة وأقوال قصيرة للإمام علي (عليه السلام) ،

وقد وصف الشيخ محمد عبده كلام الإمام بقوله : ((هو أشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله وكلام نبيه (صلى الله عليه) وأغزره مادة وأرفعه أسلوباً وأجمعه لجلائل المعاني)) (٥) .

(١) البيان والتبيين ١ / ٨٨ . (٢) السابق ١ / ١٥٥ .

(٣) الإيضاح / ٩ . (٤) مفتاح العلوم ١ / ١٩٦ .

(٥) مقدمة محمد عبده ، نهج البلاغة ١ / ١٢ .

المبحث الأول : أساليب علم المعاني

علم المعاني : من المصطلحات التي أطلقها البلاغيون على مباحث بلاغية تتصل بالجملة وما يطرأ عليها من تقديم وتأخير أو ذكر وحذف أو تعريف أو قصر أو فصل ووصل أو إيجاز وإطناب ومساواة (١) .
وقد عرف السكاكي علم المعاني هو ((تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)) (٢) ، وهذا العلم إما خبر أو إنشاء .

- الخبر :

عرف القزويني الخبر بقوله : ((اختلف الناس في انحصار الخبر في الصادق والكاذب فذهب الجمهور إلى أنه منحصر فيها ثم اختلفوا فقال الأكثر صدقه مطابقة حكمه للواقع وكذبه عدم مطابق حكمه له)) (٣) .

وباختصار أن الخبر كل كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته وهو ثلاثة أضرب :

١ - الخبر الابتدائي : وهو الذي يكون خاليا من المؤكدات لأن المخاطب خالي الذهن من الحكم الذي تضمنه ((٤) ، ومن ذلك في الوصية :

- ((عناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي فكتبت لك مستظها به إن أنا بقيت أو فنيت)) (٥) .

- ((بادرت بوصيتي إليك فأوردت خصالا منها قبل أن يعجل بي أجلي دون أن افضي إليك بما في نفسي)) (٦) .

٢- الخبر الطلبي : وهو أن يكون المخاطب مترددا في الخبر طالبا الوصول لمعرفته والوقوف على حقيقته فيستحسن تأكيد الكلام الملقى إليه تقوية للحكم ليتمكن من نفسه ويطرح الخلاف وراء ظهره .

(٢) مفتاح العلوم / ٧٧ .

(١) البلاغة والتطبيق / ٨٣ .

(٤) البلاغة والتطبيق / ١٠٧ .

(٣) الإيضاح / ١٣ .

(٦) السابق ٣ / ٥٥٦ .

(٥) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٤ .

ISSN-1994-697X

- ٣ - الخبر الإنكاري : وهو أن يكون المخاطب منكرا للخبر الذي يراد إلقاؤه معتقدا خلافه تأكيد الكلام له بمؤكد أو مؤكدين أو أكثر على حسب حاله من الإنكار قوة وضعفا (١) .
ولتوكيد هذين الخبرين أدوات كثيرة منها كما ورد في الوصية :
أ - إنّ وأنّ : ينصبان المبتدأ ويرفعان الخبر وقد وردا بكثرة ظاهرة منها :
- ((إني أوصيك بتقوى الله ولزوم أمره)) (٢) .
- ((إنّ اليسير من الله سبحانه أعظم من الكثير من خلقه)) (٣) .
- ((واعلم أنّ امامك طريقا ذا مسافة بعيدة ومشقة شديدة)) (٤) .
ب - كأنّ : وفيها التشبيه المؤكد من ذلك :
- ((كأنّ شيئا لو أصابني أصابك وكأنّ الموت لو أتاك أتاني)) (٥) .
ج - لكنّ : للتأكيد مع الاستدراك من ذلك :
- ((لو كان لربك شريك لأنتك رسله ... ولكنه إله واحد)) (٦) .
د - لام الابتداء : وتفيد توكيد مضمون الجملة وهي لام مفتوحة من ذلك :
- ((لربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك)) (٧) .
هـ - أمّا : وهي أداة شرط وتوكيد من ذلك :
- ((أمّا بعد فإنّ فيما تبينت من إقبال الدنيا عني ... ما يزعني عن ذكر من سواي)) (٨) .
و - نون التوكيد الثقيلة : ويؤكد بها الفعل المضارع غالبا ولا سيما المسبوق بلا الناهية ، من ذلك :
- ((لا ترغبنّ فيما زهد فيك)) (٩) .

(١) جواهر البلاغة / ٥٩ . (٢) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٤ .

(٣) السابق ٣ / ٥٦٦ . (٤) السابق ٣ / ٥٦١ .

(٥) السابق ٣ / ٥٥٤ . (٦) السابق ٣ / ٥٥٩ .

(٧) السابق ٣ / ٥٦٣ . (٨) السابق ٣ / ٥٥٤ .

(٩) السابق ٣ / ٥٦٩ .

ز - لن : يؤتى بها لتأكيد النفي وتقلب زمن المضارع إلى المستقبل ، من ذلك :

- ((إنك لن تبلغ أمك ولن تعدو أجلك)) (١) .

ح - الأحرف الزائدة ومنها :

- استفعل نحو : ((استكشفته كرويك واستعنته على أمورك)) (٢) .

- تفعل نحو : ((توخيت لك جميله)) (٣) .

- الباء نحو : ((ليس كل طالب بمرزوق)) (٤) .

- لا نحو : ((ليس بعد الموت مستعجب ولا إلى الدنيا منصرف)) (٥)

ط - قد : وهي حرف تحقيق إذا جاء بعدها فعل ماض نحو : ((قد كفاك أهل التجارب بغيته وتجربته فتكون قد

كفيت مؤونة الطلب ... فأتاك من ذلك ما كنا نأتيه)) (٦) .

- الإنشاء :

كل كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، وقد فرق القزويني بين الخير والإنشاء بقوله : ((ووجه الحصر أن

الكلام أمّا خبر أو إنشاء لأنه أمّا أن يكون لنسبته خارج تطابقه أو لا يكون لها الأول الخبر والثاني الإنشاء)) (٧)

وهو قسمان :

الأول : إنشاء غير طلبي وهو ما لا يستدعي مطلوباً ، وله أساليب مختلفة منها:

١ - صيغ المدح والذم : ومنها نعم وبنس وقد وردا في الوصية :

- ((نعم الخلق التصبر)) (٨) و ((وبنس الطعام الحرام)) (٩) .

٢ - التعجب : وله صيغتان قياسيتان هما (ما أفعل) و (أفعل به) ، وقد وردت الصيغة الأولى :

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٥ . (٢) السابق ٣ / ٥٦٣ .

(٣) السابق ٣ / ٥٧٧ . (٤) السابق ٣ / ٥٦٦ .

(٥) السابق ٣ / ٥٦٢ . (٦) السابق ٣ / ٥٥٦ .

(٧) الإيضاح / ١٣ . (٨) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٥ .

(٩) السابق ٣ / ٥٦٧ .

- ((ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغنى)) (١) .

٣- الرجاء : وهو طلب حصول أمر محبوب قريب الوقوع ، والحرف الموضوع له (لعل) وقد ورد في الوصية :

- ((أكثر من تزوده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده)) (٢) .

ويكون بربّ نحو :

- ((استبان لك ما ربما أظلم علينا منه)) (٣) .

- ((ربّ ساع فيما يضره)) (٤) .

الثاني : إنشاء طلبي : وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع منها :

١ - الأمر :

معنى الأمر في اللغة معروف وهو نقيض النهي (٥) لأنّ الأمر طلب لحصول الفعل والنهي طلب ترك الفعل ، أمّا في الاصطلاح فهو طلب إيجاد الفعل (٦) ولم يفرد له النحويون بابا مستقلا للأمر بل تجده متفرقا في موضوعات مختلفة إلّا سيبويه فقد افرد بابا خاصا للأمر والنهي أوضح فيه أن الأمر سياق فعلي لا يكون إلّا بفعل وذكر فيه صيغ مختلفة (٧) .

أمّا البلاغيون فقد كانت لهم عناية في بحث دلالة الأمر على الاستعلاء ووضعوه في باب علم المعاني ، فالسكاكي يقول: ((الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمالها أعني - استعمال (ليترك) و (انزل) و (نزال) و (صه) - على سبيل الاستعلاء)) (٨) .

وإذا كان الأمر لمن هو أعلى رتبة منك فهو على سبيل التضرع أو الدعاء ، ففي قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم ...) (٩) . دعاء ، وإذا كان الأمر لمن هو مساو لك رتبة فهو التماس .

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٩ . (٢) السابق ٣ / ٥٦٢ . (٣) السابق ٣ / ٥٥٦ . (٤) السابق ٣ /

٥٦٧ . (٥) لسان العرب مادة (أمر) .

(٦) البحر المحيط ١ / ١٨١ . (٧) ينظر الكتاب ١ / ١٣٧ - ١٤٤ .

(٨) مفتاح العلوم / ١٥٢ . (٩) الفاتحة / ٧ .

إن الصيغ التي تؤدي معنى الأمر في العربية هي :

أ - الأمر بصيغة (أفعل) : يسمى النحاة صيغة (أفعل) فعل الأمر ، وعلامته التي يعرف بها عندهم مركبة من مجموع أشياء وهي دلالاته على الطلب وقبوله ياء المخاطبة (١) .

إن من أصول النحويين أن كل فعل لا بد له من فاعل ولذلك هم يقدرّون لبناء فعل الأمر (افعل) فاعلا ضميرا مستترا وجوبا لا يجوز إبرازه لأنه لا يحل محله الظاهر ولذلك إذا كان بناء الأمر للواحد المخاطب ، فإن كان الأمر لواحدة أو لأثنين أو لجماعة برز الضمير نحو (اضربي) و (اضربوا) و (اضربن) (٢) .
وقد وردت صيغة الأمر للمخاطب بكثرة وغالبه على الأساليب الطلبية الأخرى وقد احتلت المرتبة الأولى منها :
خاطب ابنه وأمره أو امر تخص القلب :

- ((احي قلبك بالموعظة وامته بالزهادة ، وذلّله بذكر الموت وقرره بالفناء وبصره فجائع الدنيا ، وذكره بما اصاب قبلك من الأولين وسرّ في ديارهم وآثارهم ... دع القول فيما لا تعرف ... أمر بالمعروف تكن من أهله ، وتفقه في الدين ، وعود نفسك على التصبر على المكروه)) (٣) .

وقد يعلل الأمر بفاء السببية نحو :

- ((خذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين)) و ((لن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين إليك)) (٤) .

واستعمل الإمام الأمر ممهدا له بالشرط بـ(إذا) و(إن) نحو :

- ((إذا أنت هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك)) (٥) .

- ((إن أردت قطيعة أخيك فاستبق له بقية من نفسك ترجع إليها)) (٦) .

وقد يذكر فعل الأمر ومعه جوابه نحو :

(١) شرح قطر الندى / ٣٠ . (٢) ينظر شرح ابن عقيل ١ / ٨٥ .

(٣) نهج البلاغة / ٣ / ٥٥٤ - ٥٥٥ . (٤) السابق / ٣ / ٥٦٠ .

(٥) السابق / ٣ / ٥٦١ . (٦) السابق / ٣ / ٥٦٩ .

- ((قارن أهل الخير تكن منهم وياين أهل الشر تبين عنهم)) (١) .
 واستعمل أسلوب التحذير الذي حُذف منه العامل ويمكن وضعه ضمن الأمر لأنه يحمل معنى فعل الأمر (احذر) ،
 وقد ورد كثيرا في الوصية معللا إياه بالفاء السببية نحو :
 - ((إياك واتكالك على المنى فإنها بضائع الموتى)) (٢) .
 أي أحذر إياك واحذر اتكالك على المنى .
 - ((إياك ومشاورة النساء فإن رأيهن إلى أفن ...)) (٣) .
 أي أحذر إياك واحذر مشاورة النساء .
 ب - الأمر بصيغة (ليفعل) : ويكون بدخول لام الأمر الجازمة على الفعل المضارع ، والجزم في أصل اللغة
 بمعنى القطع وهو في الإعراب كالسكون في البناء ، وذلك لأنه يقطع الحركة أو الإعراب عن آخر الفعل
 المضارع (٤) والنحاة يجمعون على أن دخول اللام يكثر ويتردد في فعل الغائب وأن الأقل منه دخولها على فعل
 المخاطب (٥) .
 وقد وردت هذه الصيغة قليلا في الوصية منها فيما يخص المال :
 - ((لتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله)) (٦) .
 وأحيانا يستعمل هذه الصيغة ممهدا لها بالأمر مثل
 - ((اعتصم بالذي خلقك ... وليكن له تعبدك وإليه رغبتك)) (٧) .
 أو ممهدا بالشرط (إن) مثل :
 - ((إن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما عملوا فليكن ذلك بتفهم وتعلم)) (٨) .
 ج - الأمر بصيغة الخبر : لفظه وإعرابه لفظ الخبر وإعرابه ، ومعناه الأمر مثل

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٧ . (٢) السابق ٣ / ٥٦٧ .

(٣) السابق ٣ / ٥٧١ . (٤) ينظر لسان العرب ١٢ / ٩٧ ، والكتاب ١ / ١٢

(٥) ينظر مغني اللبيب ١ / ٢٤ . (٦) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٣ .

(٧) السابق ٣ / ٥٥٩ . (٨) السابق ٣ / ٥٥٨ .

ذلك : ((أتقى الله امرؤً وفعل خيرا يثب عليه)) لأنّ معناه ليتق الله امرؤً وليفعل خيرا (١) فهذا معناه الأمر ، ويأتي لإفادة الأمر الحقيقي نحو قوله تعالى :

(والوالدات يرضعن أولادهن) (٢) ، أي لترضع الوالدات أولادهن ، ويأتي للدعاء ففي قولنا يغفر الله لزيد في اللفظ خبر والمعنى دعاء أي ليغفر الله لزيد ، وهذا معناه استعمال الكلام في غير ما وضع له أصلا وهو نوع من المجاز ، وقد طوت الوصية هذا اللون من ألوان الطلب المجازي وإن كانت الوصية في ظاهرها جملة خبرية من ذلك :

- ((اعلم يا بني أنّ أحبّ ما أنت آخذ به من وصيتي تقوى الله والاقتصار على ما فرضه الله ، والأخذ بما مضى عليه الأولون والصالحون من أهل بيتك)) (٣)

أي اتق الله واقتصر على ما فرضه وخذ بما مضى عليه الأولون .

- ((حفظ ما في الوعاء بشدّ الوكاء ، وحفظ ما في يدك أحبّ إليّ من طلب ما في يد غيرك ... والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ، والمرء أحفظ لسره)) (٤) ، أي احفظ ما في الوعاء بشدّ رباط القربة فإنّ لم يشدّ الرباط صبّ ما في الوعاء ولم يكن إرجاعه ، واحفظ الذي في يدك لأنه أحسن من الطلب من الآخرين ، وهذا إرشاد للاقتصاد في المال ، وكن عفيفا لأنّ العفة أحسن من الغنى الفاجر ، واحفظ سرّك أي عدم إباحته لشخص آخر وإلا فشا .

٢ - النهي :

هو طلب ترك الفعل ويكون بالأداة (لا) الناهية الجازمة للفعل المضارع ، جاء في لسان العرب ((النهي خلاف الأمر ، نهاه ينهاه نهيا فإنتهى وتناهى كف)) (٥)

وهو في الاصطلاح نفي الأمر يقول سيبويه : ((أنّ (لا تضرب) نفي لقوله : (اضرب))) (٦) ويخرج للدعاء لمن هو أعلى رتبة ، وإلى الائتماس لمن هو مساو لك ، ويحتل هذا الأسلوب المرتبة الثانية في الوصية لأنها تستدعي الأمر والنهي من ذلك :

(١) الكتاب ٢ / ١٠٠ . (٢) البقرة / ٢٣٢ .

(٣) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٧ (٤) السابق ٣ / ٥٦٦ - ٥٦٧ .

(٥) لسان العرب مادة (نهي) . (٦) الكتاب ١ / ١٣٦ .

- ((لا تبع آخرتك بدياك ... تفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا)) (١)

- ((لا تقل ما لا تحب أن يقال لك ... ولا تكن خازنا لغيرك)) (٢) .

- ((لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه ... لا تتخذن عدو صديقك صديقا فتعادي صديقك)) (٣) .

- ((لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ... ولا يكن أهلك اشقى الخلق بك ولا ترغبين فيما زهد فيك ،

ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ، ولا تكونن على الأساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا

يكبرن عليك ظلم من ظلمك)) (٤) .

واستعمل الإمام هذا الأسلوب مقدما على أداة الشرط (إن) وفعل الشرط نحو :

- ((لا تقل ما لا تعلم وإن قل ما تعلم)) (٥) .

والملاحظ على أوامره ونواهيها أنها قواعد تربوية على الإنسان قراءتها كل يوم حتى يتعمق مدلولها في داخله ،

ولا تحتاج إلى عناء وكذا لمعرفة مضامينها ودلالاتها التربوية الرائعة فهي صالحة للمتعلم وغير المتعلم في كل

زمان ومكان وللمسلم وغير المسلم وللعربي وغير العربي .

٣ - الاستفهام :

في أصل اللغة طلب الفهم ، جاء في لسان العرب : استفهمه سألته أن يفهمه وقد استفهمني الشيء فاهمته تفهيمًا

(٦) ، وكذلك هو في اصطلاح النحاة طلب الفهم (٧)

ويتم بأدوات منها أسماء وهي (من وما وأين ومتى وأيان وكيف وأي) ، وقد وردت في الوصية (أي و ما وأين)

لكن ليس على سبيل الاستفهام الحقيقي بل خرج إلى الاستفهام المجازي والغرض منه التذكير والتنبيه نحو :

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٥ . (٢) السابق ٣ / ٥٦١ .

(٣) السابق ٣ / ٥٦٨ . (٤) السابق ٣ / ٥٦٩ .

(٥) السابق ٣ / ٥٦١ . (٦) لسان العرب مادة (فهم)

(٧) مغني اللبيب ١ / ١٣ .

- ((أي سبب أوثق من سبب بينك وبين الله ؟)) (١) .

استفهم عن سبب أوثق منه وهو (القرآن) استفهام إنكار وتعجب من وثاقته وكذلك قوله : ((وما خير خير لا ينال إلا بشرّ ويسرّ لا ينال إلا بعسر ؟)) (٢) استفهام في معنى الإنكار .

و - ((سرّ في ديارهم فأنظر فيما فعلوا وعمّا انتقلوا وأين حلّوا ونزلوا)) (٣) استفهام تذكير بما فعله الماضون الأولون أين محل إقامتهم في الماضي والحاضر .
٤ - النداء :

في أصل اللغة (الصوت) وهو مشتق من الندى وهو بعد الصوت (٤) ، وهو في اصطلاح النحاة تنبيه المدعو ليقبل إليك (٥) ، وله أدوات كثيرة أكثرها شيوعا هي (يا) ، والمنادى المطلوب إقباله بحرف ناب مناب أدعو لفظا وتقديرا والنحاة قد عالجا المنادى على أنه مفعول به لأنه يقع منصوبا بعد أداة النداء (٦) .
ومن أدوات النداء التي وردت في الوصية هي (يا) نحو :

- ((اعلم - يا بني - أن أحبّ ما أنت آخذ به إليّ من وصيتي تقوى الله)) (٧) .

- ((يا بنيّ ، اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك)) (٨) .
وكذلك وردت (أي) وهي لنداء القريب نحو :

- ((إني أوصيك بتقوى الله - أي بنيّ - ولزوم أمره)) (٩) .

- ((أي بنيّ ، لما رأيتني قد بلغت سنا ... بادرت بوصيتي)) .

- ((أي بنيّ ، إني وإن لم أكن عمرت عمر من كان قبلي فقد نظرت في أعمالهم)) (١٠) .

والملاحظ على نداءه أنه صغّر ابنه لغرض التحبب ونبهه إلى تقوى الله والالتزام بوصيته وأمور كثيرة جاءت بعد النداء طوتها الوصية .

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٤ . (٢) السابق ٣ / ٥٦٦ . (٣) السابق ٣ / ٥٥٥ .

(٤) لسان العرب مادة (ندى) . (٥) ينظر شرح المفصل ٨ / ١٢٠ .

(٦) ينظر السابق ٨ / ١٢٧-١٢٨ . (٧) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٧ .

(٨) السابق ٣ / ٥٦١ . (٩) السابق ٣ / ٥٥٤ . (١٠) السابق ٣ / ٥٥٦ .

المبحث الثاني : أساليب علم البيان

عرّف السكاكي البيان بقوله : ((هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه ، وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)) (١) .

والبيان العربي يتواصل حلقة بين تراث الأمة وثقافتها المعاصرة كما يضيء نبراسا نحو المستقبل الزاهر في استمرار أصالة الأمة ودورها الرائد في بناء الإنسان العربي فكريا وروحيا (٢) ، ومن موضوعاته :
١ - التشبيه :

هو عقد مقارنة بين شيئين اشتركا في صفة أو أكثر بواسطة أداة لغرض مقصود وله أربعة أركان هي :

١- المشبه ، ٢ - المشبه به ، (ويسميان طرفي التشبيه) ٣ - أداة التشبيه

٤ - وجه الشبه : وهو الصورة المشتركة بين المشبه والمشبه به على أن تكون أوضح في المشبه منها في المشبه (٣) .

ويقسم بحسب الأداة ووجه الشبه إلى عدة أقسام منها :

أ - المرسل : وهو ما ذُكرت به أداة التشبيه وهذا اللون هو الغالب في الوصية من ذلك :

- ((كأنّ شيئا لو أصابك أصابني وكأنّ الموت لو أتاك أتاني)) .

فالمشبه (الشيء الذي يصيب ولده) والمشبه به (الشيء الذي يصيبه) والأداة (كأنّ) ، وهذا يدلّ على ((شدة قربه منه ذاته بمنزلة نفسه بذكر الغائتين) الشيء

الذي يصيب والموت) ، ووجه الشبه بين ما يصيب ولده وبين ذلك الشيء - وإن لم يصبه - شدة تألمه به ((٤) .

- ((كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم)) .

(١) مفتاح العلوم / ٧٧ . (٢) البلاغة والتطبيق / ٢٦٠ .

(٢) الإسلوب الصحيح في البلاغة / ٣١ - ٣٢ . (٤) شرح ميثم البحراني / ٥ / ٦ .

المشبه (أنت) والمشبه به (أحدهم) والأداة (كأنّ والكاف) ، ((يستترب لحاقه بهم وصيرورته كأحدهم فيما صاروا إليه ووجه الشبه قرب حاله من حال أحدهم)) (١)

- ((يسبقتني إليك بعض غلبات الهوى وفتن الدنيا فتكون كالصعب النفور)) .

المشبه (أنت) والمشبه به (الصعب النفور) والأداة (الكاف) أي ((كالبعير الصعب الذي لا يمكن راكبا وهو مع ذلك نفور عن الإنس)) (٢) ، ووجه الشبه ((أنه يعسر حمله على الحق وجذبه إليه كما يعسر قود الجمل الصعب النفور وتصريفه بحسب المنفعة)) (٣) .

- ((إنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقى فيها شيء قبلته)) .

المشبه (قلب الحدث) والمشبه به (الأرض الخالية) والأداة (الكاف) ووجه الشبه ((ما ألقى فيها من شيء قبلته وذلك أن قلب الحدث لما كان خاليا من الانتقاش بالعقائد وغيرها مع كونه قابلا لما يلقى إليه من خير وشرّ فينتقش به أشبه الأرض الخالية من النبات والزرع القابلة لما يلقى فيها من البذور)) (٤) .

- ((احمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلة ... وعند جرمه على العذر له حتى كأنك له عبد وكأنه ذو نعمة عليك)) (٥) .

فيه تشبيهان الأول : المشبه (أنت) والمشبه به (عبد) والأداة (كأن) ووجه الشبه الطاعة والانقياد له ، والثاني : المشبه (هو) والمشبه به (صاحب نعمة) ، ووجه الشبه الاحترام والتقدير ، والمراد عدم تخلي الإنسان عن أخيه مثلما لا يتخلى العبد عن سيده أو الإنسان عن صاحب النعمة عليه ، ومجازاة الأخ في كل أموره وتحمل ما يبدو منه من القطيعة أو الجرم ومقابلة ذلك بالصلة والعذر له .

ب - التشبيه المؤكد : ما حُذفت منه أداة التشبيه .

ج - التشبيه المجمل : ما حُذفت منه وجه الشبه .

د - التشبيه البليغ : ما حُذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه ومعنى ذلك أنّ (المؤكد + المجمل = البليغ) ، ودرجة المشاركة بين المشبه والمشبه به في التشبيه البليغ تتباين بتباين أسلوبه الذي يتنوع إلى أنواع منها : جعل المشبه والمشبه به مبتدأ وخبر أو ما أصله مبتدأ وخبر كقول الشاعر :

(١) شرح ميثم البحراني ٩ / ٥ . (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٥٢ .

(٣) شرح ميثم البحراني ٥ / ١٥ . (٤) السابق ٥ / ١٦ .

(٥) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٨ .

وكنا غصونا أنت زهرة روضها وكنا نجوما أنت من بينها البدر .

ففي هذا البيت نجد أربعة تشبيهات بليغة : اثنان منها المشبه اسم لكان والمشبه به خبر لها وهما (كنا غصونا) و (وكنا نجوما) ، والاثنان الآخران : المشبه فيهما مبتدأ والمشبه به خبر وهما (أنت زهرة روضها) و (أنت من بينها البدر) (١).

وقد ورد هذا التشبيه في وصية الإمام منها :

- ((انظر فيما فسرت لك وإن أنت لم يجتمع لك ما تحبه من نفسك ... فأعلم إنما تخبط خبط عشواء وتتورط الظلماء)) .

فالمشبه (أنت) والمشبه به (الناقة العشواء) و(من يتورط الظلماء) وقد حذف الأداة ووجه الشبه الذي هو عدم الاهتداء ، وقد يكون من باب الاستعارة فقد استعار ((وصف الخبط له باعتبار أنه طالب للعلم من غير استكمال شرائط الطلب وعلى غير وجهه ، فهو متعسف سالك على غير طريق المطلوب كالناقة العشواء وكذلك لفظ الظلماء للمشبه باعتبار أنّ الذهن لا يهتدي لطلب الحق كالماشي في الظلماء)) (٢) .

- ((المرأة ريحانة وليست بقهرمانه)) .

المشبه (المرأة) والمشبه به (ريحانة) والأداة محذوفة وكذلك وجه الشبه وقد يكون من باب الاستعارة فقد استعار ((لفظ الريحانة باعتبار كونها محلا للذة والاستمتاع بها ، ولعلّ تخصيص الريحانة بالاستعارة لأنّ من شأن نساء العرب استعمال الطيب كثيرا وكنى بكونها غير قهرمانه عن كونها لن تخلق لتكون حاكمة متسلطة بل من شأنها أن تكون محكوما عليها)) (٣) .

وهذا لون بياني خلط فيه التشبيه البليغ والاستعارة والكناية فاكتملت صورة رائعة.

هد تشبيه التمثيل : وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة أو وصفا منتزعا من متعدد حسيا كان أو غير حسّي كقول الشاعر :

وما المرء إلّا كالشهاب وضوئه يوافي تمام الشهر ثمّ يغيب

(١) البلاغة والتطبيق / ٢٩١ . (٢) شرح البحراني ٥ / ١٩ - ٢٠ .

(٣) السابق ٥ / ٦٦ .

فوجه الشبه سرعة الفناء انتزعه الشاعر من أحوال القمر المتعددة إذ يبدو هلالا فيصير بدرا ثم ينقص حتى يدركه المحاق (١) .

وهو نوعان :

الأول : ما كان ظاهر الأداة ومنه في الوصية :

- ((إنما مثل من خبر الدنيا كمثل قوم سفر نبا بهم منزل جديب فأمّوا منزلا خصيبا وجنابا مريعا ، فاحتملوا وعثاء الطريق وفراق الصديق وخشونة السفر وجشوبة المطعم ليأتوا سعة دارهم ومنزل قرارهم فليس يجدون لشيء من ذلك الما ولا يرون نفقة مغرما ، ولا شيء أحب إليهم مما قربهم من منزلهم وأدناهم من محلهم)) .

فالمشبه : من عرف الدنيا وعمل للأخرة ، والمشبه به من سافر من منزل جديب إلى منزل خصيب فلقى في طريقه مشقة فإنه لا يكثرث بذلك في جنب ما يطلب ووجه الشبه صورة منتزعة من متعدد لأنّ الدنيا ((كالمنزل الجديب خال من المطاعم الحقيقية والمشارب العذبة الهنيئة فهو لذلك غير صالح للاستيطان والاقامة ، وإنّ عام الآخرة كالمنزل الخصيب والجنان المريع من وصل إليه مستقيما على أوامر الله ونواهيها فاز بالمقاصد السنية واللذات الباقية فكانت أبدا في طريق السفر من منازل طريق الله ، ولا شيء أحب إليها من وسيلة تقربها إلى منزل جديب ، ثم علم أنّ أمامه منزلا خصيبا فاقتضى رأيه الحسن أن يحتمل وعثاء السفر ، ومشقة ليحصل على الراحة الكبرى)) (٢) .

- و((مثل من أعتز بها كمثل قوم كانوا بمنزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب فليس شيء أكره إليهم ، ولا أفضع عندهم من مفارقة ما كانوا فيه إلى ما يهجعون عليه ويصيرون إليه)) .

فالمشبه : من عمل للدنيا وأهمل أمر الآخرة ، والمشبه به : من سافر إلى منزل ضنك وهجر منزلا رحيبا طيبا أي : ((مثل أهل الدنيا الذين قادتهم نفوسهم الأمارة بالسوء شبههم بقوم كانوا في منزل خصيب فنبا بهم إلى منزل جديب فالمنزل الخصيب في هذا هو الدنيا والمنزل الجديب هو الآخرة ، ووجه الشبه هو ما ذكره من أنه ليس شيء أكره إليهم ... إلى يصيرون إليه)) (٣) .

والثاني : ما كان خفي الأداة مثل :

(١) جواهر البلاغة / ٢٦٢ . (٢) شرح ميثم البحراني . (٣) شرح البحراني ٥ / ٢٧ - ٢٨

- ((إنما أهلها كلاب عاوية وسباع ضارية يهرّ بعضها بعضا ويأكل عزيزها ذليلها ويقهر كبيرها صغيرها ، نعم معقلة وأخرى مهملة قد أضلت عقولها وركبت مجهولها)) .

المشبه : أهل الدنيا ، والمشبه به : كلاب عاوية وسباع ضارية ، وقد قسم أهل الدنيا على قسمين :
 ((فمنهم من أتبع قوّته الغضبية ... ومنهم من أتبع قوّته الشهية ... وضرب المثل للأولين بالكلاب العاوية والسباع الضارية وأشار إلى وجه مطابقة المثل بقوله : يهرّ إلى قوله صغيرها ، ووصف الهرير مستعار لتنازعهم عليها ، وكذلك لفظ الأكل لغلبة بعضهم على بعض ، وضرب للآخرين مثل النعم باعتبار غفلتهم عمّا يراد بهم كالبهائم ، ثمّ قسم هؤلاء إلى قسمين : معقلة ومهملة ، واستعار لفظ المعقلة للذين تمسكوا بظواهر الشريعة والإمام العادل فقيدهم بالدين ، وإن لم يعقلوا أسرار الشريعة فهم كالنعم التي أعقلها راعيها ، وأشار بالمهملة إلى الذين استرسلوا في اتباع شهواتهم وخرجوا من طاعة إمامهم فهم كالبهائم المرسلّة ... وأشار إلى وجه المشابهة بقوله : التي أضلت عقولها إلى آخره ، ووجه مطابقة هذا المثل أنّ هؤلاء في عدم انتفاعهم بعقولهم قد أشبهوا النعم المهملة التي أضلت عقولها)) (١) .

ومن هنا نجد أنّ وجه الشبه صورة أنتزعت من متعدد : كلاب عاوية وسباع ضارية يهرّ بعضها بعضا ، ويأكل بعضها بعضا ، وبهائم قد أعقلها راعيها وأخرى سائبة تقابل صورة أهل الدنيا من أتبع قوته العنصرية والشهوانية الذين تمسكوا بظواهر الشريعة والذين استرسلوا في إتباع شهواتهم ، وهذا مما يحتاج إلى إمعان فكر وتدقيق نظر. فتشبيه التمثيل إذاً يكسب القول قوّة ، فإن كان في المدح كان أهنر للعطف وأنبل في النفس ، وإن كان وعظا كان أشقى للصدر وأبلغ في التنبيه والزجر (٢) ، وهذا ما لاحظناه في النصين السابقين اللذين وصف بهما الإمام أهل الدنيا بتلك الصور الرائعة التي حركت النفوس نحو الأفضل والأحسن اختيارا .

٢ - الاستعارة :

هي ((تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه)) (٣) ، وتقسم باعتبار ما يذكر من الطرفين (المشبه والمشبه به) إلى :

أ - الاستعارة التصريحية والمرشحة : إذا ذكر في الكلام لفظ المشبه به فقط نحو قول الشاعر :

وردا وعضت على العناب بالبرد

فأمطرت لؤلؤا من نرجس وسقت

فقد استعار اللؤلؤ والنرجس والورد والعناب والبرد

للمدح والعيون والحدود والأنامل والأسنان (٤) .

(١) السابق ٥ / ٤٠ . (٢) ينظر جواهر البلاغة / ٢٦٧ . (٣) البيان والتبيين ١ / ١٥٣ .

(٤) ينظر جواهر البلاغة / ٣٠٥ .

وقد ورد هذا اللون في الوصية أجمل وأحسن من المثال السابق منه :

- ((من الوالد الفان ... إلى المولود ... غرض الإسقام ورهينة الأيام وعبد الدنيا وتاجر الغرور وغريم المنايا وأسير الموت وحليف الهموم وقرين الأحزان وصريع الشهوات))

استعار لفظ الغرض (المشبه به) له (المشبه) باعتبار كونه مرميا بسهام الأمراض كالغرض ، واستعار لفظ الرهينة (المشبه به) له (المشبه) باعتبار أن

وجوده مربوط بالأوقات وداخل في حكمها كما يرتبط الرهن بيد مرتهنه ، ولفظ العبد مستعار (المشبه به) له (المشبه) باعتبار بذله لماله وأعماله في شرّ الدنيا على وهم أنها المطالب الحقّة المريحة ، ولفظ الغريم مستعار (المشبه به) له (المشبه) باعتبار طلب الموت له كالمقاضي بالرحيل كما يتقاضى الغريم واستعار لفظ الأسير (المشبه به) له (المشبه) باعتبار انقياده للموت وعدم تمكنه من الخلاص ، واستعار لفظي الحليف والقرين (المشبه بهما) له (المشبه) باعتبار عدم انفكاكه عن الهموم والأحزان كما لا ينفك الحليف والقرين عن حليفه وقرينه ، ولفظ الصريع مستعار (المشبه به) له (المشبه) باعتبار كونه مغلوبا لشهوته مقهورا لها كالقتيل (١) ، وذلك كله من باب الاستعارة التصريحية إذ صرّح بالمشبه به وحذف المشبه .

- ((الجيء نفسك في الأمور كلها إلى إلهك فأنك تلجئها إلى كهف حريز))

استعار لفظ الكهف (المشبه به) له تعالى (المشبه) باعتبار أن من توكل عليه كفاه ومنعه مما يخاف كما يمنع الكهف من يلتجئ إليه (٢) .

وإذا اقترنت هذه الاستعارة بما يلائم المشبه به سميت الاستعارة المرشحة أو الترشيفية مثال ذلك قولنا : ما أضوع رياءه ؛ أي ما أجمل ذكر الممدوح فأضوع معناه أفوح أو أكثر انتشارا والرياء : الرائحة وقصد بها الذكر الجميل شبه الذكر الجميل بالرائحة الطيبة وحذف المشبه وأبقى المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية ثم جاء بكلمة أضوع تناسب المشبه وهو (الرياء) فسميت الاستعارة مرشحة لأن فيها ما يناسب المشبه به (٣) ومنها في الوصية :

- ((قدر بلاغك من الزاد مع خفة الظهر فلا تحملن على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبالا عليك)) .

استعار لفظ الزاد (المشبه به) للتقوى (المشبه) والكمالات التي هي بلاغ الانسان في تلك الطريق إلى الله ، وهذا يكون النجاة فيها والخلاص من مهالكها ونبيهه

(١) شرح البحراني ٤ / ٥ . (٢) السابق ١١ / ٥ .

(٣) الأسلوب الصحيح / ٤٩ .

على الثاني بقوله (خفة الظهر إلى قوله وبالا عليك) واستعار لفظ الخفة (المشبه به) لتقليل اكتساب الآثام (المشبه) وحملها على النفس ، ولفظ الحمل لاكتسابها ، ووجه الاستعارة الأولى : أن مقال الآثام سريع القطع لتلك الطريق قريب النجاة فيها من مخاوفها ، ووجه الثانية أن مكتسب الآثام يثقل بها ويبيط عن لحوق المخفين ويهلك بها في طريقه وكثرة تخلفه تابعة لكثرة اكتسابه كما يكون حال المثقل في الطريق البعيدة ولفظ الظهر ترشيح المطلوب (١) ، وهنا ذكر شيئاً من لوازم المشبه به (خفة الظهر) بقوله (لا تحملن فوق ظهرك) فالحمل خاص بالظهر مع أن المراد من المشبه هو قلة اكتساب الآثام وحملها .

- و ((اجعل في يدك مفاتيح خزائنه بما أذن الله فيه من مسألته فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته واستمطرت شأبيب رحمته)) .

استعار لفظ المفاتيح (لمشبه به) للأدعية (المشبه) باعتبار أنها أسباب لتحصيل النعمة وكمال الرحمة متى شاء استفتح أبواب خزائنها ، وكذلك استعار لفظ الابواب (المشبه به) لأسباب جزئيات النعم الواصلة إلى العبد (لمشبه) ، واستعار لفظ الاستمطار (المشبه به) لطلب نعم الله تعالى (المشبه) ملاحظة لشبهها بالمطر في كونها سببين للحياة وصلاح الحال من الدنيا ويشبه طالبيهما بالمستمطر وشرح بذكر الشأبيب (٢) وهذه من لوازم المشبه به (الاستمطار) لأنها أي الشأبيب تعني دفعات المطر .

ب - الاستعارة المكنية : هي تشبيه حذف منه وجه الشبه والأداة والمشبه به مع إشارة بشيء من لوازمه وأبقى المشبه مثل قول الشاعر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع

شبه المنية بحيوان مفترس بجامع الاغتيال في كليهما ثم حذف المشبه به وهو الحيوان وأشار إليه بشيء من لوازمه وهو الاظفار ولما كان المشبه به في هذه

الاستعارة محتجبا غير مصرح به سميت استعارة مكنية (٣) .

وقد ورد هذا اللون في الوصية من ذلك :

- ((إن فيما تبينت من إدار الدنيا عني وجموح الدهر علي وإقبال الآخرة

إلي ما يزعني عن ذكر من سواي)) .

(١) شرح البحراني ٥ / ٣٢ . (٢) السابق ٥ / ٣٦ .

(٣) الاسلوب الصحيح / ٤٧ .

استعار لفظي الإديار والإقبال للمشبهين (الدنيا والآخرة) وحذف المشبه به وهو (الانسان) لأنّ الذهب والإياب من حركة الإنسان وهذا من باب الاستعارة المكنية ، كما استعار لفظ الجموح للمشبه (الدهر) والمشبه به محذوف باعتبار عدم تمكنه من ضبطه في تغيراته وتصرفاته الخارجية عن اختياره كالجموح من الخيل (١) وهو المشبه به وذكر شيئاً من لوازمه وهو الجموح .

- و ((أوصيك بتقوى الله وعمارة قلبك بذكره والاعتصام بحبله احي قلبك بالموعظة ... ونوره بالحكمة وحذره صولة الدهر)) .

استعار لفظ العمارة لتكميل قلبه (المشبه) بذكر الله وإكثاره منه لأنه روح العبادات وكمال النفس كما أنّ العمارة كمال الدار (المشبه به) ، واستعار وصف الاحياء له (المشبه) وهو القلب باعتبار تكميله لنفسه بالعلم والاعتقاد والاعتبار الحاصل من الموعظة كما يكمل المرء (المشبه به) بالحياة ، واستعار لفظ التنوير بالحكمة للمشبه (القلب) لتحمله لها باعتبار أنّ ذلك سبب هدايته لسبيل الله من ظلمات الجهل كحامل النار (المشبه به) ، ولفظ الصولة مستعار للدهر (المشبه) ملاحظة لشبهه بالسبع (المشبه به) في أخذه وما يكون بسببه من الأذى (٢) .

- و ((إنك طريد الموت الذي لا ينجو منه هاربه)) .

استعار لفظ الطريد للمشبه (الموت) ملاحظة لشبهه بالصيد (المشبه به) يطرده السبع وغيره (٣) .

- و ((إن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن كان واقفاً ويقطع المسافة وإن كان مقيماً وادعاً)) .

استعار لفظ المطية للمشبه (الليل والنهار) باعتبار أنهما أجزاء اعتبارية للزمان (المشبه به) يعقب بعضها بعضاً فينتقل بحسبها في منازل مدته المضروبة المقدره له منه إلى أن تفتى مدته ويتم سفره إلى الآخرة ، وكذلك لفظ المسافة مستعار لمدته المضروبة ولذلك كان سير الزمان به سيرا اعتبارياً وإن كان واقفاً وقوفه المتعارف ويقطع مسافة أجله راكباً تلك المطايا وإن كان وادعاً (٤) .

- و ((إياك أن توجف بك مطايا الطمع فتوردك مناهل الحكمة)) .

استعار لفظ المطايا للمشبه (الطمع) وقواه الأمانة بالسوء كالوهمية والخيالية ووجه المشابهة كونها حاملة لنفسه العاقلة وموصلة لها إلى المشتبهات وما يطمع فيه من متاع كالمطايا الموصلة لراكبها إلى أغراضه ، وكذلك وصف الوجيف لسرعة القيادة معها إلى المطاعم الرديئة ، واستعار لفظ المناهل لموارد الهلاك في الآخرة كمنازل جهنم وطبقاتها ووجه المشابهة كونها موارد شراب أهل النار المهلك (٢) .

(١) شرح البحراني ٥ / ٥ . (٢) السابق ٥ / ٨ - ٩ .

(٣) السابق ٥ / ٣٩ . (٤) شرح البحراني ٥ / ٤ . (٥) السابق ٥ / ٤٧ .

- و ((ساهل الدهر ما ذلّ لك قعوده ... وإياك أن توجف بك مطية اللجاج))

استعار لفظ القعود للزمان أو الدهر (المشبه) الذي تسير به رزقه وتسهل به بعض مهماته وحوائجه ، كما أنّ القعود من شأنه أن يمكن ظهره واقتعاده وهو بمعرض أن ينفر براكبه إذا استزاده وشدّ عليه ، ولفظ الذلة مستعار لسكون الزمان والمكان المطلوب فيه ، كذلك حذره من اللجاج (المشبه) عن طلب الأمر عند تعسره ونفوره بأن استعار له لفظ المطية الجموح (المشبه به) ووجه المشابهة كونه يؤدي بصاحبه إلى غاية ليست بمحمودة كالجروح من المطايا (١) .

- و ((تجرّع الغيظ فأنى لم أر جرعة أحلى منها عاقبة)) .

استعار وصف التجرع للتصبر (المشبه) على مضض الألم الموجود فيه ملاحظة لما يشرب من دواء مرّ (المشبه به) ، واستعار لفظ الحلاوة لما يستلزمه من العاقبة الحسنة ووجه المشابهة ما يستلزمه من اللذة (٢) .

- و ((من أمن الزمان خانته)) .

استعار لفظ الخيانة للزمان (المشبه) باعتبار تغييره عند الغفلة عنه ، والأمن فيه والركون إليه فهو في ذلك كالصديق الخائن (المشبه به) (٣) .

- و ((اكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير ... ويدك التي بها تصول)) .

استعار لفظ الجناح للعشيرة (المشبه) باعتبار كونهم مبدأ نهوضه وقوته على الحركة إلى المطالب كجناح الطائر (المشبه به) ، وكذلك لفظ اليد باعتبار كونهم محل صولته على العدو (٤) .

- و ((من تعدى الحق ضاق بمذهبه)) .

يريد بمذهبه طريقته (المشبه) ، وهذه استعارة ومعناه أنّ طريق الحق لا مشقة فيها لسالكها وطرق الباطل فيها المشاق والمضائر وكأنّ سالكها سالك طريقة ضيقة (المشبه به) يتعثر فيها ويتخبط في سلوكها (٥) .

٣ - الكناية :

الكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيوميّ به إليه ويجعله دليلاً عليه مثل قولهم : هو طويل النجاد يريدون طويل القامة وكثير الرماد يعنون كثير القرى أي كريم (٦) ، ومن أنواعها :

(١) السابق ٥ / ٥٣ . (٢) السابق ٥ / ٥٥ .

(٣) شرح البحراني ٥ / ٦٤ . (٤) السابق ٥ / ٦٧ .

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٩٣ . (٦) دلائل الإعجاز / ٥٢ .

أ - كناية عن موصوف : وهو المراد به غير صفة ولا نسبة فمنها ما هو معنى واحد كقولنا : المضياف كناية عن زيد ومنه قول الشاعر :

الضاربين بكل أبيض مخذم والطاعنين مجامع الاضغان

فمجامع الاضغان كناية عن القلب (١) ، وقد ورد هذا اللون في الوصية من ذلك :

- ((من الوالد الفان ... الطاعن عنها غدا))

هو تذكير بالمفارقة وغدا كناية عن وقتها (٢) أي وقت الدنيا .

- و ((قد عمرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره))

كئى بالصفو عن الخير ، والكدر عن الشرّ أي فعرفت خير أمورهم من شرّها (٣).

- و ((أي سبب أوثق من سبب لك بينك وبين الله إن أنت أخذت به))

قوله (أي سبب) إشارة إلى القرآن الكريم لأنه هو المعبر عنه بقوله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعا

ولا تفرقوا) (٤)(٥) ، فالموصوف هو القرآن الكريم وقد كنى عنه بالسبب أي الحبل .

- و ((إياك والتغاير في غير موضع غيرة فإن ذلك يدعو الصحيحة إلى السقم والبريئة إلى الريب)) . كئى

بالصحيحة عن البريئة من الخيانة والفساد وبالسقم عنهما ، وإنما كان كذلك لأن المرأة حين من الفساد يستقبح

ذلك ويستكره كره المواجهة ويستشعر خوف الفضيحة والعقاب فإذا نسبت إلى ذلك مع برائتها منه سيعظم عليها

في أول الأمر فإذا تكرر ذلك من الرجل هان عليها أمره وصار لومه لها بقوة الإغراء بها بذلك (٦) .

ب - كناية عن صفة : والمراد بالصفة المعنوية كالجود والكرم والشجاعة كقوله تعالى : (ولا تجعل يدك مغلولة

إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) (٧) ، فجعل اليد مغلولة إلى العنق كناية عن البخل ، وجعلها مبسوطة كل

البسط كناية عن الإسراف (٨) ، وقد ورد هذا اللون في الوصية قليلا والأكثر منه السابق من ذلك :

- ((وجدتك بعضي ، بل وجدتك كلي))

وجده عليه السلام بعضا منه وهو كناية عن شدة اتصاله به وقربه منه ومحبته له (٩) ، فالصفة المكنى عنها

بـ(بعضي وكلي) هي المحبة الشديدة .

(١) البلاغة والتطبيق / ٣٧١ . (٢) شرح البحراني / ٥ / ٣ . (٣) السابق / ٥ / ١٧ .

(٤) آل عمران / ١٠٣ . (٥) شرح ابن أبي الحديد / ١٦ / ٤٩ . (٦) شرح البحراني / ٥ / ٦٦ . (٧)

السابق / ٥ / ٦٧ . (٨) الإسراء / ٢٩ . (٩) البلاغة والتطبيق / ٣٢٧ .

- و ((لا تأخذك في الله لومة لائم)) . هو كناية عن نهيه عن التقصير في طاعة الله إذ كان من لوازم المقصر استحقاق لوم اللاتمين (١) ، فالصفة المكنى عنها بالقول السابق هي التقصير في التمسك بأوامر الله ونواهيه .
ومن هنا نعرف أنّ هذا اللون البياني (الكناية) هو تعبير لطيف ورقيق أحسن من الكشف والتصريح لما فيه إشارة خفية تفهم من سياق الكلام وتصيب الهدف برفق.

المبحث الثالث : أساليب علم البديع

علم البديع : علم يُعرف به تحسين وجوه الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة (١) ،
ويقسم إلى :

- ١ - محسنات معنوية : ومنها الطباق ، والمقابلة ، والالتفات .
- ٢ - محسنات لفظية : ومنها الجناس والسجع والموازنة وردّ العجز على الصدر والاقْتباس .
- ١ - محسنات لفظية :

١ - الطباق : وهو نوعان :

- أ - طباق إيجاب : وهو الجمع بين لفظين مثبتين متضادين مثل لفظة (إيقاظ) (ورقود) في قوله تعالى : (وتحسبهم إيقاظا وهم رقود) (٢) (٣) .
وهذا النوع نجده كثيرا في الوصية منها :
- ((اعلم أنّ مالك الموت هو مالك الحياة ، وأنّ الخالق هو المميت ، وأنّ المفني هو المعيد ، وأنّ المبتلى هو المعافى)) (٤) .

(١) شرح البحرني ٥ / ٦ (٢) الإيضاح / ٣٣٤ . (٣) الكهف / ١٨ . (٤) البلاغة والتطبيق / ٤٣٩ .

(٥) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٨ .

ففي هذا القول متضادات كثيرة فـ (مالك الموت) تقابل (مالك الحياة) و(خالق) تقابل (المميت) ، و(المفني) تقابل (المعيد) ، و(المبتلي) تقابل (المعافي) ، وهذه هي الحياة تقوم على التضاد الثنائي واقتران الضد بالضد يجلو الصورة ويظهرها واضحة كل الوضوح .

- و((اعلم أنك خلقت للأخرة لا للدنيا ، وللغناء لا للبقاء ، وللموت لا للحياة))(١)

طابق بين ثلاث مفردات لها معنى واحد أو تصب في معنى واحد ، طابق بين (الدنيا والأخرة) ، وبين (الغناء والبقاء) ، وبين (الموت والحياة) ، علماً أنّ (الأخرة والغناء والموت) لها معنى واحد ، و(الدنيا والبقاء والحياة) لها معنى واحد وهذا من الطباق اللطيف القريب للمقابلة .

- و ((لا تكن عبد غيرك فقد خلقك الله حرّاً))(٢) .

طابق بين (عبد وحرّ) ، وانظر كيف توجه علي عليه السلام بقوله إلى من يريده أن يستشعر روح الحرية وهي دعوة مباشرة إلى الأرقاء ليخبرهم أنهم أحرار والامر مرهون بيدهم فالدعوة ثورية بالمفهوم الحديث ، بينما نجد أنّ عمر بن الخطاب يقول : ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً)) ، وهي دعوة إلى المالكين والامر منوط بإرادتهم وليس موجه إلى الأرقاء إذا شاء الأسياد استبعدوا أو إذا شاءوا اعتقوا والفرق واضح .

- و ((احمل نفسك من أخيك عند صرمة على الصلّة وعند صدوده على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل ، وعند تباعده على الدنو وعند شدته على اللين))(٣) .

هذا أجمل ما في الطباق من تضاد يدعو فيه إلى التمسك بالصديق ويكون ذلك باختيار الألفاظ الإيجابية التي تجعلنا لا نخسر ذلك الصديق ، فطابق بين (صرمه)

أي قطيعته و(الصلّة) ، وبين (صدوده) و (المقاربة) ، وبين (جموده) أي بخله و (البذل) أي الكرم ، وبين (تباعده) و(الدنو) ، وبين (شدّته) و(اللين) ، والملاحظ أنّ الألفاظ السلبية عند الصديق أو الأخ مضافة إلى الضمير الهاء العائدة إليه ، وهذا مما يسهل علينا اختيار الألفاظ الإيجابية حتى لا نخسره .

ب - طباق سلب : وهو الجمع بين اللفظ ومنفيه نحو (لا يعلمون) و(يعلمون) في قوله تعالى : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا) (٤) (٥) ، ومنه في الوصية :

(١) السابق ٣ / ٥٦٤ .

(٢) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٦ . (٣) السابق ٣ / ٥٦٨ .

(٤) الروم / ٨٢ . (٥) البلاغة والتطبيق / ٤٣٩ .

- و ((لا تقل ما لا تعلم و إن قل ما تعلم)) (١) .

طابق بين (ما لا تعلم) و (ما تعلم) إذ استعمل أداة النفي (لا) فنفي الفعل (تعلم) وقابله بالفعل المثبت (تعلم) .

- و ((لا تضيعن حق أخيك ، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه)) (٢) .

طابق بين الاسماء (أخيك) و (ليس لك بأخ) وبين الفعل المنهى عنه (لا تضيعن) مع توكيده والفعل المثبت (أضعت) .

- و ((لم يزل أول قبل الأشياء بلا أولية وآخر بعد الأشياء بلا نهائية)) (٣) .

طابق بين الاسماء (أول) و (لا أولية) وبين (آخر) و (لانهاية) ، وإن اختلفت اللفظة والمعنى لا أخرية .

وأحيانا يستعمل الأمر وضده النهي ، وإن اختلف الفعلان في اللفظ إلا أن معناهما واحد مثل قوله :

- ((تفهم وصيتي ولا تذهبن عنها صفحا)) (٤) .

فالأمر (تفهم) بمعنى خذ بها أو تمسك بمضمونها ، ونفي ذلك بالنهي (لا تذهبن) أي لا تعرض عنها .

ومن هنا نستنتج أن للطباق تأثيرا خاصا وذلك بجمعه بين الأضداد يخلق صورة ذهنية ونفسية متعاكسة يوازن فيما بينها عقل ووجدان القارئ ليتبين ما هو حسن ويفضله على ضده ، وهذا الفن يعرض للمعاني الذهنية والنفسية والعقلية المتنافرة ويترك في الشعور آثارا عميقة بأسلوبه المقارن الموازن .

٢ . المقابلة :

وهي أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب مثل قوله تعالى : (فليضحكوا قليلا وليبكوا

كثيرا) (٥) ، ففي هذه الآية طباق بين (فليضحكوا) و (ليبكوا) وبين (قليلا) و (كثيرا) ولكن هناك شيئا

آخر فيها هو أن المعنيين (فليضحكوا قليلا) قد قابلها في نهاية العبارة معنيان آخران هما (وليبكوا كثيرا)

(٦) ، وقد ورد هذا اللون في الوصية منها :

مقابلة بين معنيين نحو :

- ((نجدهم قد انتقلوا عن الأحبة وحلوا ديار الغربية)) (٧) .

طابق بين (انتقلوا) و (حلوا) ، وبين (الأحبة) و (الغربية) وقابل بين معنيين

(انتقلوا عن الأحبة) و (حلوا ديار الغربية) .

(١) نهج البلاغة ٣ / ٥١٦ . (٢) السابق ٣ / ٥٦٩ .

(٣) السابق ٣ / ٥٥٩ . (٤) السابق ٣ / ٥٥٥ .

(٥) التوبة / ٨٢ . (٦) الاسلوب الصحيح / ٧٣ (٧) نهج البلاغة ٣ / ٥٥٥ .

- و ((حفظ ما في يدك أحب إليّ من طلب ما في يد غيرك)) (١) .

طابق بين (حفظ) و (طلب) ، وبين (في يدك) و (يد غيرك) ثم قابل بين معنيين

(حفظ ما في يدك) و (طلب ما في يد غيرك) .

ومقابلة بين ثلاثة معان نحو :

- ((ربّ قريب أبعد من بعيد وربّ بعيد أقرب من قريب)) (٢) .

طابق بين (قريب) و (بعيد) في العبارتين ، وبين (أبعد) و (أقرب) في العبارتين الأولى والثانية ثم قابل بين

ثلاثة معان (قريب أبعد من بعيد) و (بعيد أقرب من قريب) .

ومقابلة بين أربعة معان نحو :

- ((المخفّ فيها أحسن حالا من المثقل ، والمبطئ عليها أقبح حالا من المسرع)) (٣) .

طابق بين (المخف) و (المبطئ) وبين (فيها) و (عليها) وبين (أحسن) و (أقبح) وبين (المثقل) و (المسرع) ،

وقابل بين أربعة معان (المخفّ فيها أحسن حالا من المثقل) و (المبطئ عليها أقبح حالا من المسرع) .

ومنة هنا نستنتج أنّ المقابلة أعمّ من الطباق لأنها تضم في طياتها الطباق وتُعنى بمقابلة معنيين أو أكثر أي

الجمال المتضادة وليست المفردات المتضادة وهي بهذا أعلى رتبة من الطباق بين لفظين متضادين .

٣ . الالتفات :

هو الانتقال من أسلوب لآخر في كلام واحد كأن تستقهم ثم تطلب أو تتحدث عن غائب ثم توجه إلى المخاطب

وذلك بغية التنوع وإدخال الحيوية (٤) . وقد عدّ ابن أبي الحديد هذا اللون البديعي من أبواب علم البيان بقوله : ((

اعلم أنّ باب الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة باب كبير من أبواب علم البيان ، وأكثر ما

يقع ذلك إذا اشتدت عناية المتكلم بذلك المعنى المنتقل إليه كقوله تعالى : (الحمد لله ربّ العالمين * الرحمن

الرحيم * ماك يوم الدين) فأخبر عن غائب ثم انتقل إلى خطاب الحاضر فقال : (إياك نعبد وإياك

نستعين) (٥) (٦) . وهذا الأسلوب بيّن وواضح في الوصية إذا نظرنا إليها ككل متماسك متكامل وإذا اخترنا نصا

منها نجد هذا اللون البديعي يفضح نفسه فضا . ابتداء هذا النص بخطابه إلى ابنه بفعل الأمر (اعلم) والنداء (يا

بني) ثم انتقل إلى الحديث عن غائب وهو ((أنّ أحدا لم ينبئ عن الله كما أنبأ عنه الرسول (صلى الله عليه

وآله))) ثم رجع إلى المخاطب يقوله : ((فأرض به رائدا وإلى النجاة قائدا)) ثم تحدث عن نفسه : ((فأني لم

ألك نصيحة)) ، ورجع مرة ثانية إلى المخاطب : ((إنك لم تبلغ في النظر لنفسك - وإن اجنهدت - مبلغ نظري

لك)) (٧) .

(١) السابق ٣ / ٥٧٠ . (٢) السابق ٣ / ٥٦٦ . (٣) السابق ٣ / ٥٦٢ . (٤) الأسلوب الصحيح / ٨٠ .

(٥) الفاتحة / ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ . (٦) شرح ابن أبي الحديد ٧ / ١٩٦ . (٧) ينظر نهج البلاغة ٣ / ٥٥٩ .

الحسنات اللفظية ومنها :

١- الجناس :

هو تشابه لفظين في النطق واختلافهما في المعنى وهو ضربان :

أ - الجناس التام : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أشياء : نوع الحروف ، وعددها ، و هيئاتها الحاصلة من الحركات والسكنات ، وترتيبها مع اختلاف المعنى نحو قوله تعالى : (يوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة) (١) فالمراد بالساعة الأولى يوم القيامة وبالساعة الثانية المدة من الزمان (٢).

وهذا الضرب غير موجود في الوصية .

ب - الجناس غير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأربعة السابقة ويجب ألا يكون بأكثر من حرف (٣) .

وهذا الضرب استعمله الإمام عليّ (ع) في الوصية من ذلك :

- ((ارض به رائداً وإلى النجاة قائداً)) (٤)

جانس بين (رائداً) و (قائداً) وفيهما اختلاف في الحرف الأول فالأولى الراء والثانية القاف .

- و ((سل عن الجار قبل الدار)) (٥) .

جانس بين (الجار) و (الدار) وفيهما اختلاف في الحرف الأول ففي الأولى الجيم وفي الثانية الدال عند تنكير الكلمتين .

- و ((لا خير في معين مهين)) (٦) .

جانس بين (معين) و (مهين) وفيهما اختلاف في الحرف الثاني ففي الأولى العين وفي الثانية الهاء .

٢ - السجع :

هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر (٧) ، وهو ثلاثة أقسام :

أ - السجع المطرّف : وهو ما اختلفت في الوزن واتفقتا في التقفية ومنه في الوصية :

- ((المرء أحفظ لسره وربّ ساع فيما يضرّه)) (٨) .

- و ((من أمن الزمان خانته ومن أعظمه أهانه)) (٩) .

ب - السجع الرصّع : وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية ومنه في الوصية :

(١) الروم / ٥٥ . (٢) جواهر البلاغة / ٣٩٦ - ٣٩٧ . (٣) السابق / ٣٩٨ . (٤) نهج البلاغة / ٣

٥٥٩ . (٥) السابق / ٣ / ٥٧١ . (٦) السابق / ٣ / ٥٦٨ . (٧) جواهر البلاغة / ٤٠٤ . (٨) نهج البلاغة

٥٧٧ / ٣ . (٩) السابق / ٣ / ٥٦٧ .

- ((ليس كل طالب يصيب ولا كل غائب يؤوب)) (١) .
 فر(طالب) و(غائب) متفقتان في الوزن والقافية و(يصيب) و(يؤوب) كذلك .
 ج - السجع المتوازي : وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والقافية ومنه في الوصية :
 _ ((مرارة اليأس خير من الطلب إلى الناس)) (٢) .
 - و((ربّما أخطأ البصير قصده وأصاب الأعمى رشده)) (٣) .
 - و((من أكثر أهجر ، ومن تفكر أبصر)) (٤) .
 وهناك سجع ليس بين فقرتين أو عبارتين بل في الفقرة أو العبارة الواحدة نفسها من ذلك :
 - ((التاجر مخاطر)) و((ربّ يسير أنمي من كثير)) و ((من الفساد إضاعة الزاد ومفسدة المعاد)) (٥) و ((ربّ طلب قد جرّ إلى حرب)) (٦) و ((الصاحب مناسب)) (٧) .
 ٣ - الموازنة :
 هي تساوي الفاصلتان في الوزن دون القافية (٨) نحو قوله (عليه السلام) :
 - ((ليس كل طالب بمرزوق ولا كل مجمل بمحروم)) (٩) .
 فر(مرزوق) و(محروم) متفقتان في الوزن ومختلفتان في التقفية .
 ٤ - ردّ العجز على الصدر :
 في النثر هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما - بأن يجمعهما اشتقاق واحد أو شبهه - في أول الفقرة ثمّ تعاد في آخرها (١٠) .
 ومنه في الوصية : - ((إذا كان الرفق خرّقا كان الخرق رفقا))
 - و ((ربما كان الدواء داء والداء دواء)) (١١) .

- (١) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٧ . (٢) السابق نفسه . (٣) السابق ٣ / ٥٧١ . (٤) السابق ٣ / ٥٥٧ .
 (٥) السابق ٣ / ٥٦٧ . (٦) السابق ٣ / ٥٦٨ .
 (٧) السابق ٣ / ٥٦٦ . (٨) جواهر البلاغة / ٤٠٥ . (٩) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٦ .
 (١٠) جواهر البلاغة / ٤٠٧ . (١١) نهج البلاغة ٣ / ٥٦٧ .

٥ - الاقتباس :

هو أن يضمن المتكلم منثوره أو منظومه شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف على وجه لا يشعر به أنه منهما (١) . وهذا هو الغالب على ألفاظ الإمام علي (عليه السلام) في كتاب نهج البلاغة وكما يقول الشريف الرضي : أن كلامه ((عليه مسحة من العلم الإلهي وفيه عبقة من الكلام النبوي)) (٢) .
ولأجل إعطاء الموضوع حقه وللأمانة العلمية فقد اعتمدت في معرفة الآية القرآنية التي لها علاقة بكلام الإمام في الوصية على شرح ابن أبي الحديد الذي أشار هو إلى ذلك ، وكذلك أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) .
الاقتباس القرآني :

- ((من الوالد الفان .. الساكن مساكن الموتى)) .

قوله : ((الساكن مساكن الموتى)) إشعار بأنه سيموت وهذا من قوله تعالى : (وسكنتم مساكن الذين ظلموا أنفسهم) (٣) (٤) .

- و ((احسن كما تحب أن يحسن إليك)) .

من قوله تعالى : (واحسن كما أحسن الله إليك) (٥) (٦) .

- و ((قد أذن الله لك بالدعاء وتكفل لك بالإجابة)) .

إشارة إلى قوله تعالى : (وادعوني استجب لكم) (٧) .

- و ((أمر أن تسأله ليعطيك)) .

إشارة إلى قوله تعالى : (واسألوا الله من فضله) (٨) .

- و ((وتسترحمه ليرحمك)) .

إشارة إلى قوله تعالى : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) (٩) .

- و ((لم يمنعك إن أسأت من التوبة)) .

إشارة إلى قوله تعالى : (إنا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم

(١) جواهر البلاغة / ٤١٤ . (٢) مقدمة الشريف الرضي ، نهج البلاغة ١ / ١٨ . (٣) إبراهيم / ٤٥ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٤١ . (٥) القصص / ٧٧ . (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٦٦ .

(٧) غافر / ٦٠ . (٨) النساء / ٣٢ . (٩) الأنفال / ٣٣ .

حسنة وكان الله غفورا رحيمًا(١)(٢).

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف :

- ((دع القول فيما لاتعرف)) .

من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعبد الله بن عمرو بن العاص : ((خذ ما تعرف ودع ما لا تعرف)) .

- و ((دع الخطاب فيما لم تكلف)) .

من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)) .

- و ((امسك عن طريق إذا خفت ضلالتة)) .

مأخوذ من قول النبي (صلى الله عليه وآله) : ((دع ما يريبك إلى ما لا يربك)) وفي خبر آخر : ((إذا رابك أمر

فدعه))(٣) .

- و ((احبب لغيرك ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لها)) .

جاء في الحديث المرفوع : ((لا يكمل إيمان عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه

)) (٤) .

- و ((إنما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك)) .

هذا من كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ((يا ابن آدم ليس لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنت أو لبست

فأبليت أو تصدقت فأبقيت))(٥) .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦ / ٦٩ .

(٤) السابق ١٦ / ٦٦ .

(١) الفرقان / ٨٠ .

(٣) السابق ١٦ / ٥٠ .

(٥) السابق ١٦ / ٩١ .

الخاتمة

من خلال البحث برزت النتائج الآتية :

في علم المعاني :

- قلة الخبر الابتدائي من المؤكدات وكثرة الخبر الطلبي والإنكاري لوجود المؤكدات فيهما وهذا يعني أنّ الوصية تستدعي التوكيد ، وكان أكثر المؤكدات ورودا هي (إن) و(أنّ) فقد وردت (إن) أكثر من (٤٠) مرة ، ووردت (أنّ) أكثر من (٢٥) مرة فيكون المجموع (٦٥) مرة أكد بهما الإمام وصيته ، كما أكد الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية بنون التوكيد الثقيلة كثيرا ، وأكد الفعل الماضي بقدر كثيرا أيضا ، أمّا المؤكدات الأخرى مثل (كأنّ) ولكنّ ولام الابتداء وغيرها فقد وردت قليلة .

- طغيان الإنشاء الطلبي على غير الطلبي ولاسيما الأمر بصيغة (أفعل) فقد ورد أكثر من (٧٩) مرة ، ويأتي النهي في المرتبة الثانية - وإن كان قليلا - إذ ورد أكثر من (٢٠) مرة .

في علم البيان :

- كثرة الاستعارات بلونها التصريحية والمكنية ، يليها التشبيه ومنه - وهو الأكثر - التشبيه المرسل مع وجود ألوان كالتمثيل المؤثر في النفس ثم الكناية بنوعها كناية عن صفة وكناية عن موصوف .
_ مزج بين الألوان البيانية تلك في المقولة الواحدة مثل : ((المرأة ريحانة وليست قهرمانة) فيها تشبيه بليغ) المرأة ريحانة) ، واستعار ريحانة للمرأة لأنّ من شأن نساء العرب استعمال الطيب كثيرا ، وكنى بقهرمانة عن أنّها لم تُخلق لتكون حاكمة .

في علم البديع :

- فمن المحسنات المعنوية كثرة الطباق وغلبته على الأساليب الأخرى ، وهذا يعني أنّ الحياة تقوم على التضاد الثنائي مما يجلو الصورة ويظهرها واضحة لأنّ الضد يظهر حسنه الضد علما أنّ الالتفات إذا قيس على الوصية كنص متكامل فقد ظهر واضحا جليا من خلال انتقاله من المخاطب إلى الغائب ثمّ إلى المتكلم وعدم ثباته على واحد منهم .

- وفي المحسنات اللفظية كثرة السجع علما أنّ سجع الإمام بعيد عن الصنعة والتكلف جار مع الطبع ، ولم ير من الجناس إلّا الجناس الناقص ، ووردت الموازنة مرة واحدة ، ورد العجز على الصدر قليلا ، ويلي السجع في المرتبة الثانية الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي ، وهذا يعني مدى تأثير كلام الله تعالى ورسوله (ص) في ثقافة الإمام (ع) .

- وأخير نرى التسلسل المنطقي والتماسك بين الفكرة والفكرة حتى تكون كل منها نتيجة طبيعية لما قبلها ولما بعدها ، ولم يستخدم لفظة إلا وفي هذا اللفظ ما يدعو إلى التأمل ، وما شروط البلاغة التي هب موافقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته إلا مجتمعة في كلام أمير المؤمنين (ع) ، ولم تجتمع لأديب قبله قط .

مصادر ومراجع البحث

- الأسلوب الصحيح في البلاغة والعروض ، تأليف جماعة من الأساتذة منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٧٥ .
- الإيضاح ، الخطيب القزويني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٣٨٤ هـ .
- البلاغة والتطبيق ، أحمد مطلوب وحسن البصير دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل ١٩٦٩ .
- البيان والتبيين ، الجاحظ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون القاهرة ١٩٤٨ .
- جواهر البلاغة ، أحمد الهشمي ، ط١٠ ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد رشيد رضا ، القاهرة ١٣٧٢ هـ .
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مصر ، ط١٤ ، ١٩٦٤ .
- شرح قطر الندى وبل الصدى ، ابن هشام الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .
- شرح المفصل ، ابن يعيش النحوي ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة المثنى القاهرة
- شرح نهج البلاغة عبد الحميد بن أبي الحديد ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار الجيل بيروت ١٩٨٧ .
- شرح نهج البلاغة ميثم البحراني عنى بتصحيحه عدة من الأفاضل ، منشورات مؤسسة النصر ١٣٨٤ هـ .
- الكتاب ، سيبويه ، تحقيق عبد السلام هارون ، عالم الكتب بيروت ١٩٨٣ .
- لسان العرب لابن منظور المصري الأنصاري تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني القاهرة .
- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني القاهرة .
- مفتاح العلوم للسكاكي ، القاهرة ، ١٩٣٧ .
- نهج البلاغة الشيخ محمد عبده مكتب الإعلام الإسلامي ، قم إيران ، ط٢ ١٣٧٥ هـ .